

**دنيا ميخائيل**

**مختارات من**

**الليالي العراقية**

**2003-2013**

1. الليالي العراقية
2. لارسا
3. شكل العالم
4. نهاية العالم
5. الطائفة
6. في المتحف
7. في حوض السمك
8. حياة ثانية
9. بريدك الإلكتروني
10. قمر منسي
11. عراقيون وغيلان أخرى
12. آثار أقدام على القمر
13. نظرة اورفيوس
14. شجرة الزيتون القديمة
15. جدل
16. دموع
17. أغنية من زمن آخر
18. زلزال
19. صفحة نصف محترقة في شارع المتنبي
20. تاريخ شخصي
21. الصين
22. هونغ كونغ
23. صخرة ملساء
24. مخطط انسيابي
25. كوكب آخر
26. الببغاء المباع
27. مهمات في ردهة العناية المركزة

خيار	.28
أحلام	.29
ربة الأشياء الجامدة	.30
الغريق	.31
ضمائر منفصلة أخرى	.32
عودة	.33

## الليالي العراقية

في أرض سومر حيث المنازل قريبة من بعضها البعض حتى ان جداراً واحداً يفصل كل بيتين وحيثُ  
ينام الناس صيفاً على السطوح والمحبون يتسلقون الجدران ويقفزون من فوقها لرؤية حبيباتهم  
ويتفقون على الزواج مبكراً والأهل دائماً يرفضون في البداية، كانت عشتار في السوق تبحث عن هدية  
لتموز. تريد أن تشتري كل شيء ولا تستبعد حتى الجمجمة المتدلية هناك مثل طوق حمامة تخطو الى  
ماتظنه كسرة شمسٍ تغيب. والبطاقة التي نسيته أن تدفع ثمنها ليس فيها كيوييد ولا سهمه ولا النارُ  
ولا الماء ولا الهواء ولا التراب ولا انحناءتها الى القبر ولا حكايتها في الليلة الثانية بعد الألف.  
في طريق العودة، اختطفها رجلٌ ملثمٌ بعد أن سحبها بالقوة تاركاً يدَ أمها ممدودة خلفها الى الأبد.  
أنزلها الى العالم السفلي عبر سبعة مداخل. هذه القصائد المكتوبة على مداخل العالم السفلي تدلُّ  
على أنها لم تُقتل على الفور أو لعلَّ خاطفها انشغل بالقصائد عن قتلها.

يدها المسكة بهدية

يد أمها الممدودة خلفها

يد دميته من الطفولة التي تغني بضغطه عليها

يد خاطفها التي سحبته بالقوة

اليد التي تمسح دمه

اليد التي تقلب الليالي في تقويم قديم

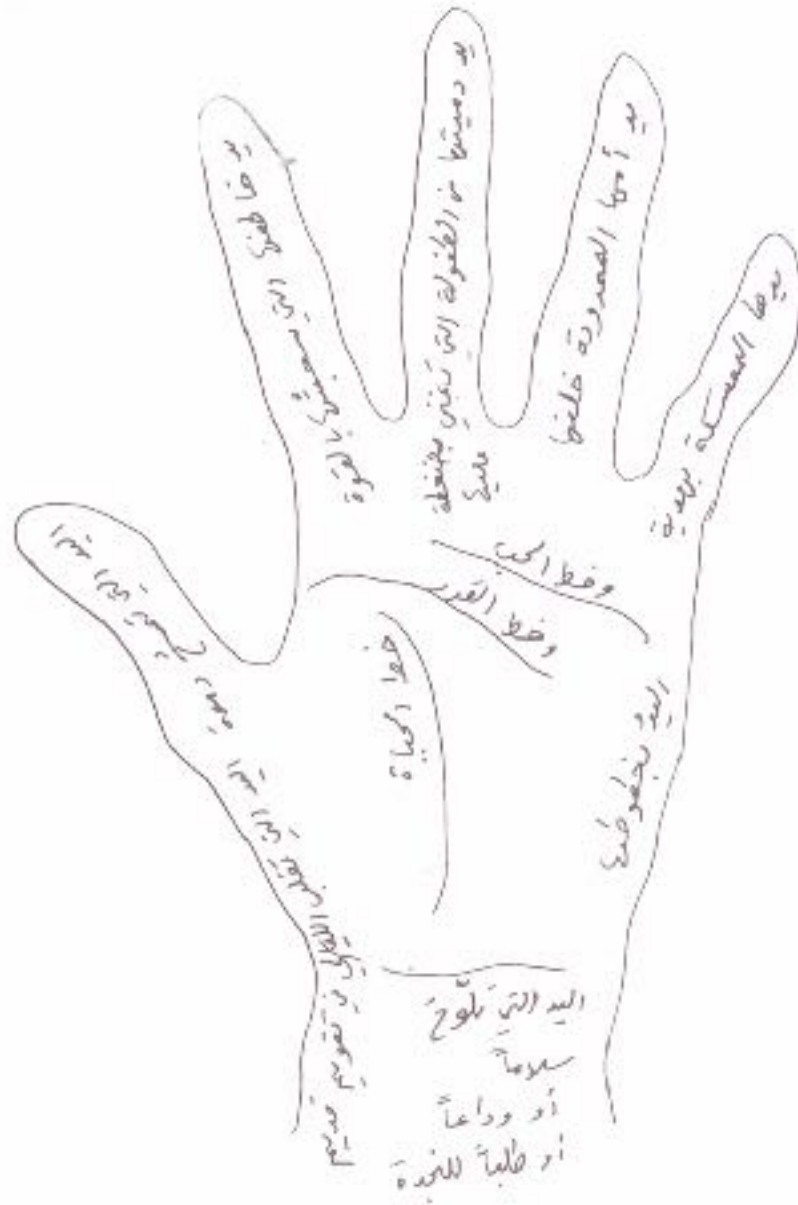
اليد التي تلوح

سلاماً

أو وداعاً

أو طلباً للنجدة

اليدُ بخطوطها: خط الحياة وخط الحب وخط القدر...



.1

في السنة الأولى من الحرب

كانا يلعبان "عريس وعروس"

يعدّان كلّ شيء على الأصابع:

الوجوه المنعكسة على النهر،

الموجات التي تكنسها وتختفي،

وأسماء الأطفال.

والآن كبرت الحربُ

وابتكرتُ لهما لعبةً أخرى:

الرابح هو من يعود من الرحلة

وحيداً

مليئاً بقصص القتلى

وخفق الأجنحة العابرة

فوق أشجارهم المكسورة.

الآن عليه أن يسحب تلال ترابهم

بخفة لا يشعر بها أحد.

الرابح يرتدي قلادة

يتدلى منها نصف قلب معدني،

ومهمتهُ بعد ذلك

أن ينسى النصف الآخر.

شاخت الحربُ

تركتُ الرسائل القديمةَ

والتقاويمَ

والصحفَ

تصفرُ

بالأخبار

والأرقام

وأسماء اللاعبين.

.2

مرتُ خمسة قرون

منذ أن حكّت شهرزادُ

حكايّتها.

بغداد سقطتُ

وأنا أخذوني الى العالم السفلي،

أرقبُ الظلالَ

التي تمرُّ خلفَ الجدار،

لأحد منها يشبهُ تموز،

سيقطعُ آلاف الأميال

من أجل كوب الشاي

الذي أسقيه من يدي

ولو أخشى أن يبرد الشاي،

أسوأ من الموتِ شايٌّ بارد.

.3



هذه الجرة "المفطورة" قليلاً

ماكنتُ سأعثر عليها

لولا وحدتي الكافية لأن ترى كل مايلمع ذهباً.

بداخل الجرة عشبةٌ سحرية

ياما بحث عنها كلكامش.

سأريها لتموز عندما يصل،

سنذهب بسرعة الضوء

الى قارات العالم السبع ،

كلُّ من يشم رائحة العشبِة

يشفى

أو يتحرر

أو يفهم السر.

لأريد أن يتأخر تموز

على أغنيتي الطارئة.

.4

عندما يصل تموز

سأعطي له أيضاً

كلّ القوائم التي جمعتها كهواية:

قوائم الطعام

قوائم الكتب

قوائم الأصدقاء المفقودين

قوائم الأغاني المفضلة

قوائم المدن التي يجب أن تُرى قبل الموت

قوائم الأشياء العادية

مع ملاحظات تثبت بأننا

على قيد الحياة.

.5

كأني أسمعُ موسيقى في قوس القارب

كأني أشمُّ النهرَ الزنبقةَ السمكة

كأني ألمسُ السمواتِ المنهالةَ من "أحبك"

كأني أرى تلك الملاحظات الصغيرة المقروءة مرات ومرات

كأني أعيشُ حياةَ الطيور حاملينَ ريشهم فقط.

.6

دارت الأرضُ

حول الشمس

دورةً أخرى

ولم تمر في عيوني غيمةٌ

ولا ريح

ولا بلاد

ظلي المحبوس

في مصباح علاء الدين

يعكسُ:

صورةً للعالم وأنت به

ضوءاً يمرُّ من خرم أبرة

خربشاتٍ تشبهُ خطأً مسمارياً

طرقاً مخفيةً الى الشمس

طيناً اصطناعياً يابساً

إناءً عثمانياً هادئاً

رمانةً هائلةً تنفرطُ حباتها في كل أنحاء أوروک.

.7

في العراق

بعد ألف ليلة وليلة

شخصٌ سيتحدثُ الى شخصٍ آخر.

أسواقٌ ستكونُ مفتوحةً

لزبائنٍ عاديين.

أقدامٌ صغيرةٌ ستدغدغ

قدمي دجلة العملاقتين.

نوارس ستفردُ أجنحتها

ولا أحد يطلقُ عليها النار.

نساء يتمشينَ في الشوارع

ولا أحد يختطفهن.

ولن ينظرن الى الوراء بقلق.

رجال سيلفظون أسماءهم الحقيقية

ولن يتعرضوا للخطر.

أطفال سيذهبون الى المدارس

و يعودون الى البيت.

دجاجٌ في القرى

لن ينقر أطرافاً بشرية

فوق الحشيش.

جدل سيُقام

دونما عبواتٍ ناسفة.

غيمةٌ ستمرّ

فوق سياراتٍ

تتوجه الى العمل كالمعتاد.

يدٌ ستلوح

لشخصٍ يخرج

أو يعود.

الشمسُ ستشرقُ بالتساوي

على الذين يستيقظون

و الذين لن يستيقظوا.

شيءٌ عاديٌّ سيحدثُ

كل مرة

تحت الشمس.

كأنَّ آخرَ بيضةٍ  
في العالم  
ستسقطُ مني  
على الأرضِ.  
هكذا أتحركُ  
وأنا أحملكِ بداخلي.

كأنكِ ترسمينَ الأشكالَ في طريقكِ لأن تكبري:  
الدائرةُ امرأةٌ بلعتِ الكرةَ الأرضيةَ  
المستطيلُ سريرٌ متنقل  
المثلثُ وجهُ الطبيب  
المربعُ ساعةٌ لاتبالي بالمواعيدِ.

كأنكِ رسولةٌ جديدة  
تبعثين لثغاتٍ وأشاراتٍ الى الكون  
فأنسى أعدائي كلَّهم  
أتركهم يذوبون معاً  
رجالٌ تلج مسالمين.

أكتبُ اسمك بالطباشير

مزجاً من الحروف الشمسية والقمرية:

ليالٍ من التهويدات من أجل الأخبار السارة

أسئلة ما بعد الخروج

رؤيا القوارب الورقية بسعادتها البسيطة

سرّ المكان حيث أخفينا حبل المشيمة

أجوبة من الخرخاشة.

نقتسمُ العالمَ

خبزاً

أو مطراً

أو معطفاً كبيراً علينا

ونرتبُكُ

لأننا

-ولو نهزُّ أجنحتنا-

لانطير.

تنتاءبين

فأقطفُ النجوم من نعاسك

وألصقُها في الدفتر

عساها تسليك

عندما أغيب.

تبدأين المشي

فتتبعين القمر

وأنا أتبعك

في الخلف سرابٌ بلدٍ

لم تولدي فيه.

تلوحين بيدك

فأفهم أنك تمرجين الأنهار

والبحيرات

والقارات

بملقعة شاي أو قصبية

تحملين الفرات والأطلسي

معاً إلى المدرسة

ترشّين الألوانَ

السمراءَ والشقراءَ

عند درجات الحرارة

المرتفعة والمنخفضة

فتتصالحُ الجهاتُ كلها



لأنك جميلة يا لارسا!

ومثل كرات تلج تتدحرج إلى زوالها

تصطف البلاد جميعها

فتوقف القتال لحظةً

لأنك جميلة يا لارسا!

تفتح ذراعيك

فأعرف تماماً كم أحبك:

أحبك من هنا إلى بغداد

وأحبك أكثر من كل الكلام

وأحبك أعلى من الدخان

في المدينة

وأحبك أقوى من صوت الانفجارات

وأحبك أعمق من جرح

يتبادل عراقيون وأمريكيون

بقرب عبوة ناسفة

وأحبك أعلى من زنبقة

تنتفح توأ في الصباح

وأحبك أدفأ من عش

سيكتمل بعد قشة واحدة وزقزقة

وأحبك أوسع من الخوف

حين يسيئُ من الحافات

وقتَ الحرب

من هنا الى بغداد

ذهاباً وأياباً

أحبك.

2012 - 2003

## شكل العالم

لو كانَ العالمُ مستويًا

مثلَ بساطِ الرِّيحِ

لكانَ للأسى بدايةً ونهايةً.

لو كانَ العالمُ مربعًا

لاختبأنا في إحدى الزوايا

كلما لعبت الحربُ لعبةَ الغميضة.

لو كان العالمُ مدورًا

لدارت أحلامنا بالتعاقب في دوائرِ الهواءِ

وتساوينا جميعاً.

الى لوري التي تقول "كل شيء يحدث الآن"

كلُّ شيء يخبرني

بأنها نهاية العالم:

المنجّمون

والفايروسات القاتلة الجديدة

وطبقة الأوزون

والحروب

وخروج النملة مع الجرادة في نزهة

ورسالتهُ المقتضبة الباردة.

ولكن مايجعلني أُغيّرُ رأيي:

الغيومُ التي تعرفُ طريقها دائماً،

صدّقةُ البحر التي لم تَبِحْ بالسر كاملاً،

الأمنيات المعلقة في القطع المعدنية المرمية إلى النافورة،

الوردة التي تنتظر أن تُحدّث لنا.

## الطائرة

الطائرة القادمة من بغداد

تحمل جنوداً أمريكيين

ترتفع فوق

فوق القمر المنعكس

على مياه دجلة

فوق غيوم مكّسة كالجثث

فوق قيثارة قديمة

فوق صدورهم الملطومة

فوق أناس مخطوفين

فوق خرائب تنمو مع الأطفال

فوق طوابير طويلة في دائرة الجوازات

فوق صندوق بندورا المفتوح.

## الطائرة

بركابها المنهكين

ستحطُّ على بعد ستة آلاف ميل

من إصبعٍ مبتورٍ في الرمل.

## في المتحف

الإلهة سومرية صغيرة

تقف خلف الزجاج

ويداها الى أعلى

تلمس السماء.

في زيارتي الثانية

تكبرُ الإلهةُ

تميلُ قليلاً

ويداها الى أسفل

تشيرُ الى الأرض.

في زيارتي الثالثة

تتمددُ أفقياً

ويداها الى الجانبين

تتهيأُ للنوم.

في زيارتي الأخيرة

تغمضُ عينيها

ويداها على صدرها

تخبيءُ سرّاً؟

## في حوض السمك

سمكة تلتقي

سمكة أخرى

وتضع بيضاً

زعانفها تلوح لعشبة طرية

فتخرج الألوان

واحداً بعد الآخر

والفقاعاتُ كلامٌ

لا يعني أحداً

العالم يصعدُ ويهبطُ

كل يوم

عبر عيني سمكة.



## حياة ثانية

بعد هذه الحياة

نحتاجُ الى حياة ثانية

لنطبقَّ ما تعلمناه

في الحياة الاولى.

نقترفُ خطأ بعد اخر،

نحتاجُ الى حياة ثانية

لننسى.

ندندنُ طويلاً في انتظار الغائبين،

نحتاج الى الأغنية كاملةً.

نذهبُ الى الحرب

ونفعلُ كلَّ مايقوله سيمون،

نحتاج الى حياة ثانية

للحب فقط.

نحتاج الى وقت

حتى ننهي فترة الحكم في السجن

ونخرج أحراراً

في الحياة الثانية.

نتعلمُ لغةً جديدةً،

نحتاجُ أن نمارسها أكثر

في الحياة الثانية.

نكتبُ الشعرَ ونمضي،

نحتاجُ الى حياة ثانية

لنعرفَ آراءَ النقاد بنا.

نركضُ

في كل الأمكنة،

نحتاجُ الى حياة ثانية

لنلتقط صورة.

الألمُ يحتاجُ الى وقتٍ

ليلتئم.

نحتاجُ الى حياة ثانية

حتى نتعلمَ كيف نعيشُ بدون ألم.

## بريدك الألكتروني

عندما يظهرُ اسمُك على الشاشة

كل الكواكب تأتي اليّ

حتى بلوتو يلتحق.

شجيرة العنب تنضج لي

وتتمدد الى حديقة الجيران.

عشتار تعود الى الحياة

وتغني أغنية

للمدن الخربة

تغسلُ الغبارَ عن وجهها

تستديرُ مثل راقصة رشيقة

تبعثُ الجنودَ كلَّهم الى البيت

تضعُ ضمادةً حول القدم الصغيرة

لهذا العصفور

المجروح أيضا ما بين النهرين.

عشتار ستخرجُ الآن من البوابة

لكني مازلتُ بانتظار الإيميل.

الشاشة تعكس عيوناً ذابلة

وعقارب ساعتي تتعانق

في منتصف صمتك.

الى ساندرا أوكونور

عنده قصةٌ طويلة

عندها قصةٌ طويلة

تفاصيل

وأحداث

وشخوص.

لأشياء من ذلك يهْمُ

ليديهما المتشابكتين

في هذه اللحظة

في هذا المنسى.

ثمانون سنة مرت،

بأصوات تباعدت،

أبواب فُتحت وأُغلقَتْ،

وأماكن امتلأت وفرغت،

بينما الريحُ

كنست الأسماءَ

والمواعيدَ

والملاحظات

و...

كلها ذابت في النهر

وهو يجري خلفهما.

عنده قصة طويلة

عندها قصة طويلة

لا يحكي لها شيئاً

لا تحكي له شيئاً

نصف قمر يطلُّ على المكان

لأحد يدري أين يختبئ نصفه الثاني.

## عراقيون وغيلان أخرى

هم كائنات مخيفة.  
لهم رؤوس داكنة ومترنحة.  
يجولون في الصحراء  
بأجساد ثيران وأسود،  
عيونهم الواسعة تلمع بالسيوف.  
يفتلون شواربهم اذا وعدوا  
أو توعدوا  
أو تغزلوا.  
من أنوفهم الهائلة  
يخرج دخان كثير،  
يعلو الى السماء.  
يهزّون الأرض بقوة ينتبه لها الموتى  
يعيشون في ظلمة،  
بلا ماء ولا كهرباء.  
الغبار طعامهم وخبزهم الطين.  
لا يعرفون نوماً أو راحة.  
الحرب تزورهم كلّ يوم  
بأكياسٍ من عظامٍ جديدة.  
لهم عادات غريبة:

السني يردّد بأن الشيعي له ذيل.  
الشيعي يحمل مفتاح الجنة في جيبه تحسباً للموت.  
الكردي يذهب الى الجبل حين يقاتل  
وحين يرقص "دبكة".  
الكلداني يستشيرُ النجومَ في كل القرارات.  
الآشوري يضع ريشة على رأسه  
ليثبت أنه صرع النسر.  
الأرمني يرمي نفسه في النهر حين ينزعج.  
المندائي يحتفل بالأعياد  
بأن يبقى ثلاثة أيام في البيت.  
اليزيدي يحترم الطاووس  
ويقدّسُ الخس.  
التركماني ينتظر دائماً عودة السلطان.  
أولئك العراقيون وباقي الغيلان  
(كلما تغيب الشمس  
وتهدأ أصوات المدافع)  
يُخرجون قيثاراتهم من الصناديق  
يعزفون لمفقوديهم  
جميعاً حتى الصباح.



## آثار أقدام على القمر

عندما وضعتُ قدمي على القمر  
كل شيء أخبرني بأنك كنتَ هناك أيضاً:  
وزني الأخف  
فقدان الجاذبية  
نبضات قلبي المتسارعة  
الدماغ المنشغل عن دواراته اليومية  
انعدام الذكريات بأنواعها  
الأرض في مكان آخر  
وآثار الأقدام هذه على القمر  
كل ذلك يدلّ عليك.

## نظرة أورفيوس

ماذا لو أنه لم يقتلها

بنظرتِه؟

لو أنهما في المطبخ

يهيئان القهوة

أو يتحدثان

عن الحرب التي لاتنتهي

أو يطفئان الشموع

لذكرى زواجهما الألف

مع أشباح ترقص في كل مكان

أو يستمعان الى أغنية

نسيا اسمها

أو يسعلان بملايين الذرات من الغبار المتطاير حولهما

أو يجلسان معاً

مثل تمثالين من الملح.

## شجرة الزيتون القديمة

تغيرت المدينةُ

وبدا المشهَدُ

يتوضَّحُ

شيئاً فشيئاً

من خلف الدخان:

موسيقى شرقية

تنبعث وحدها

من جماجم متناثرة.

ثقوب في كل مكان:

في جدران البيوت

وفي جدران القلوب

وفي ذيل قطة.

حقيبة فارغة

فاغرة

للأفق

عرب وإسرائيليون

يتبادلون النظرات:

أنا يوسف

وهؤلاء أخوتي

وهذي سكينها

والبئر عميقة

كجرحي

فلماذا أقيمت مسكناً

فوق قبيري؟

وأين أقيمهُ إذن؟

ضاقَت بي الأرض

حتى شردتني

ومنذ عصور

أدور

حتى وصلت

إلى نقطتي الأولى

فجلست إليها

مثل علامة تعجب غامقة.

وأنا خرجت

من النقطة نفسها

وإليها

أعود.

أعود

مثل الفصول

ومثل المطر

ولو بالمقلوب.

هذي بذرتي بذرتُها

في الأرض

التي

وجدتني

فيها

وقبل أن تثمر ثمرتي

نُفِيتُ.

لك قصتك

ولي قصتي

بدايات مختلفة

ونهاية واحدة.

وما بين البداية

والنهاية

تفاصيل كثيرة

تقتلك

وتقتلني.

ولأنَّ الحكمةَ معقدةٌ

ملأنا القراءُ

وناموا

شاهدونا كوابيسَ

وانتهى الأمر.

فلنرمي قصصنا

في البحر

ونمضي.

غداً  
عندما يلعبُ  
أحفادُك  
وأحفادي  
حول شجرة الزيتون  
تلك القديمة  
نفسها  
سيجدون دماً يابساً  
على جذعها  
كم خدشناه  
بحروفنا  
العربية  
والعبرية  
حتى احمرّت  
وريقاتها  
يبستُ  
وتهاوتُ  
على الأجساد.

وعندما يكبرون  
يجلسون  
في فيئها  
يخمنون

(وكانهم في كهف افلاطون)

معاني ظلالنا

المتناثرة

هناك

خلف شجرة الزيتون

القديمة.

"نحننا والقمر جيران"

تغني فيروز

وسائق التاكسي يعدل مرآته

ولكن تفوته بعضُ المشاهد:

أفاع شفاف على مصطبة،

قناني فارغة متناثرة،

بقايا قهوة على سطوح المنازل،

أعلام ممزقة،

حبات رمان متروكة (أيُّ الحبات من السماء؟)،

جدل:

- هذه أرضي

ومن لا يصدقني يسأل الفصول

فهي تعرف كيف تغادر وكيف تعود

- لا، هذه أرضي

ومن لا يصدقني يسأل الطيور

فهي تعرف الطريق إلى البيت

- فلنذهب ونحتكم إلى حاكم الأرض

عسى أن نعرف الحقيقة.

- لنذهب إلى المطر.



- يا حبة المطر، أنت بحكمتك العظمى تعرفين دائماً الطريق الى الأرض.  
فاخبرينا من يملك هذه الأرض؟
- ردت حبة المطر: أنا أمتزج بحبات المطر الأخرى ولا أفكر في أي أرض أحلّ.  
الغيمة هي التي ترسلني. اسألوا الغيمة.
- يا غيمة، أنت بحكمتك العظمى تعرفين دائماً طريقك في السماء وتعرفين كيف  
ترسلين المطر الى الأرض. اخبرينا من يملك هذه الأرض؟
- ردت الغيمة: أنا أمضي مع باقي الغيوم ولا أفكر فوق أي أرض أطل. الريح هي  
التي ترسلني. اسألوا الريح.
- ياريح، أنت بحكمتك العظمى تعرفين كل الاتجاهات وأنت التي تدفعين الغيوم .  
اخبرينا من يملك هذه الأرض؟
- ردت الريح: أنا أدور في كل بقاع الأرض والشجرة تستجيب لحركتي ولكن  
لا تتبعني أبداً. اسألوا الشجرة.
- يا شجرة، أنت بحكمتك العظمى تمدين جذورك في الأرض وتحيين العالم  
بأغصانك. اخبرينا من يملك هذه الأرض؟
- ردت الشجرة: جذوري سعيدة في الداخل وأغصاني سعيدة في الخارج. البذرة  
معلمتي. اسألوا البذرة.
- كانت البذرة مشغولة باطعام الأرض ولاوقت لديها للإجابة.

أعمل في دكان لبيع الدموع  
في زجاجاتٍ مختلفة الأحجام والأشكال.  
مكان مزدحم  
ولاوقت لجلب المناديل.  
في أول الطابور المرأة  
التي تأتي كل يوم  
لتشتري هذه القطرات التي بلا لون  
لنفسها؟ للآخرين؟  
الزبون التالي قادمٌ جديد  
كان يظن بأنه لن يغادر وطنه  
حتى لو انقلع الجبل من مكانه.  
بعده يقفُ ولد صغير مع جدته  
نجيا من الطوفان، ليس تماماً.  
الزبونة في نهاية الطابور  
تريد أن تُرجع زجاجة الدموع  
تقول بأنها لم تفتحها  
تصورتُ بأنها ستحتاج إليها حتماً  
بعد رحيل صديقها  
ولكنها بدلاً من ذلك

ظلتُ تروح وتجيء

بين مكانين لوقوف السيارات.

الشمسُ غادرت الى النصف الثاني من العالم

حانَ وقتُ الذهاب الى البيت

فقد نفذ كل ما عندنا

من دموع .

أغنية من زمن آخر

ماظلاً معي

على قيد الحياة

أغنية من زمن آخر.

تتبعني أينما ذهبتُ.

تركضُ ورائي.

أجدها ورقة صغيرة

وأرميها بعيداً.

أفتحُ الورقة،

أعدّها،

كلما تذكرتُ

واحداً من أصحابي الموتى.

( الى سگان هايتي )

في الدقيقة الأولى

اهتزَّ غصنُ شجرة

تحت قدم الطائر.

في الدقيقة الثانية

اهتزت المدينةُ كُلُّها

تحت الطائر،

ولم يفهم سبباً

لتلك السرعة القصوى

للسقوط:

الولدُ الذي كان يستحمُّ في النهر

والغريقُ الذي خلفه

والسائحُ في القارب الأبيض

والطالبةُ التي دسَّت بجيبها

ورقةَ موعدٍ غرامي

وسيارةُ الأجرة المشتركة

التي نفذ بها البنزين

والأمُّ التي صرختُ بابنها

لأنه كان في الشارع وليس في المدرسة

والمغني مع طبل التانبو

والراقصون العراة تحت الشمس

والطفلة مع دميتها المكسورة،

بدقيقة واحدة فقط

غاصوا تحت الأرض

والأشجارُ تحت الطائر

سقطتُ كلها

هذه المرّة ليس من أجل الورق

ولا من أجل القارب الأبيض

ولا من أجل الموعد الغرامي

ولا من أجل المدرسة ولا البنزين

ولا من أجل المنازل ولا الطبل

ولا من أجل الطفلة

ولا دميتها.

## ورقة نصف محترقة في شارع المتنبي

أ هذه	أشارة	اذن؟			
هذه	الورقة	المتطايرة؟			
الورقة	المتطايرة	من	كتاب	نصف	محترق؟
الكتاب	النصف	محترق في	شارع		المتنبي؟
شارع	المتنبي	الذي	قطعتُ	أحاديثه	قنبلة؟
القنبلة	التي	بعثرتُ	كل	تلك	الصفحات؟
كأنها	تبحث	ببأس	عن	معنى؟	
هذه	الورقة	تحديداً	من	"طوق الحمامة"؟	
صعدتُ			ونزلتُ؟		
تسللتُ	من	بين	الأجساد	المتناثرة؟	
لتلتصق			بصدرها؟		
أليستُ	هي	الأسطر	نفسها	تماماً؟	
تلك	التي	أسمعها	إياها	يوماً؟	
"في	مجيئي	اليك	أحتتُ	كالبدر اذا	كان
وقيامي – ان قمتُ –	كالأنجم	العالية	الثابتات	في	الابطاء."

1. القصة

القصة التي تمنيتُ أن أهمسها في أذنك

تكثفتُ في القدح

الذي كان على الطاولة

في أثناء الانتظار

الى الرحلة رقم 65

ثم تقوستُ أمام البوابة

ومن تحتها

دخل المسافرون

على عجلٍ

ولا مبالاة.

القصة التي تمنيتُ أن أهمسها

تكورتُ

في الختم

على جواز السفر.

القصة التي تمنيتُ

ترأءتُ مع البنائيات

من خلال زجاج السيارة



ومضت في الاتجاه الآخر.

القصة

دارتُ

مع المفتاح

ودخلتُ

وحيدةً

الى الشقة.

## 2. الصورة

في لحظة ضجر

أقلبُ صفحات الألبوم

أتوقفُ عند صورةٍ

نظهُرُ فيها مبتسمين

في مكان ما عدتُ أعرفه

الصمت الذي في الصورة

أترجمهُ بسهولة شديدة

الى كل اللغات

وأتساءل: لماذا تركتَ صورتك الأخرى

في المرأة؟

### 3. الوردة

مددتُ يديَّ

غصوناً

ضغطتُ قدميَّ

في الأرض

والتمت الأفكارُ تويجاتٍ

حول رأسي

تمايلتُ انتظاراً

بأن تقطفني

أو تشمني على الأقل

و لكن الوردة .. الوردة

لم تكن أنا.

(1)

لوحة زيتية في بكين

رأيتُ أفاعيَ

تلتفُّ

حولَ عنقِ امرأةٍ

لأعرفُ مَنْ هيَ

بقربها

جبالٌ رماديةُ اللون

أمامها كلبٌ

قيلَ هو السنَّةُ الجديدةُ

خلفها رجالٌ يتفاوضون

على بعد سنتيمترٍ آخر

أشكالٌ نحيفةُ

تتشابكُ

من الأرضِ

الى السماءِ.

(2)

ليو شوبو

كل تلك النجوم

التي سقطت من السماء

إلى سطح السجن

ماكانتُ ستملاً

كرسيك الفارغ.

هونغ كونغ

(1)

بوذا الكبير

زهور

في كل مكان

في زخارف الصحون

والأساور

ومنفضات الدخان

في أربطة العنق الحريرية

في حواشي المعاطف

في السجاد

في الجدران

في وجبات الطعام

في اللوحات

في الكلام

وفي قدح الشاي

زهور تفوح برائحة سمك

زهور تنطلق ضحكات خجولة

من الأفواه

زهور تلمع في العيون

زهور تتمايلُ في يديها

زهور تتراكم الى بوذا

وهو جالس زهرة لوتس

يدل الى الطريق.

(2)

في قرية الصيادين

من نوافذَ بلا زجاجِ

في بيوتٍ تُسربُّ ماءً

وسمكاً

وأساطيرَ

الى النهرِ

ينظر الصيادون إلينا

نحن القادمين قبل قليل

من أعلى ناطحة سحاب

في هونغ كونغ،

ننظر اليهم

من قارب

يتجول في مياههم بلا استئذان.

ينظرون إلينا

من بيوت منحورة.

ننظرُ لنرى صفائحَ عتيقة.

ينظرون ليروا غيوماً متحركة.

ننظرُ

الى حياتهم المائية

عبر النهر

ينظرون

الى حياتنا اليابسة

التي تعبر النهر.

## صخرة ملساء

الى كازوكو شيرياشي

حياتك صخرة ملساء تنسينها

على الطاولة

وتغادرين

بسعادة

كأنك تتبعين طيراً

يحملُ السرَّ بمنقاره.

نتوقفين

لتدحرجي الورقة العملاقة

من

القلب

الى

القدمين

حروفك

اليابانية

مدن

من البَيض

تسقطُ



أمام

أعيننا.

مخطط تسلسلي



## كوكب آخر

عندي بطاقة خاصة

للذهاب إلى كوكب آخر

خلف هذي الأرض.

عالم مريح جميل،

لا حرٌّ هناك

ولا بردٌ

ولا دخانٌ كثير.

الكائناتُ هناك

دمتةٌ فوق العادة.

والحكومات

لا تعمل في الخفاء.

لا وجود للشرطة،

فلا مشاكل

ولا شجارات.

المدارسُ

لا ترهقُ طلابها

بواجباتٍ كثيرة،

فلا تاريخ بعد

ولا جغرافية  
ولا لغات أخرى.  
وأحسن من كل ذلك  
إن الحرب  
هناك  
تركت راءها  
تتمايل  
وراءها،  
فنامت الأسلحة  
تحت الغبار  
ومضت الطائرات  
بلا قصف  
إلى المدن،  
والقوارب  
بدت  
بعض ابتسامات  
في المياه.  
كل شيء  
هاديء  
ولطيف  
في الكوكب الآخر

خلف هذي الأرض.

ولكني مازلتُ مترددة

في الذهاب لوحدي.

## البغاء المباع

اليوم

كل شيء جديد

بالنسبة للبغاء:

أين السمكة الفضية

التي كان يلوح لها بذيله

فتخرج فقاعات من فمها؟

أين الحوض بنجومه؟

أين الولد الصغير

يروح ويجيء

ليحرق فيه

ويحاول لمس أحياها؟

الأهم من كل ذلك

أين المرأة التي كانت تطعمه من يدها

وهو يردد خلفها:

حبيبي

حبيبي؟

## همهمات في ردهة العناية المركزة

- كان في المقهى عندما أُغمي عليه.
- لا، لم يسبق أن تعرّض لسكتة قلبية.
- له حياة لا بد أن يرجع إليها.
- لا يمكنه أن يترك هكذا دونما كلمة.
- هو يحب التصوير ورائحة القهوة.
- مامعنى هذه الرنة في الجهاز؟
- هل رأيت الصورة الأخيرة التي بعثها؟
- هو يخاف من الأبر.
- كان يخطط لسفرة الى مشيغان.
- انه يتنفس عبر الماكنة.
- هناك أمل لو فقط يفتح عينيه.
- لكنه استجاب لصوتها وحرك يده قليلاً.
- هاتفه معبأ برسائل صوتية.

## خيار

"أفضلين كيساً ورقياً أم بلاستيكياً؟"

أحترار في الاجابة.

كنت أتمنى لو أعطيتُ الخيارَ

في أمور أكثر أهمية

قبل سنواتٍ طويلة

عندما كنتُ في بلدٍ

لايالي كثيراً

باختياراتنا

ولا بنوع الأكياس.



.1

البارحة حلمتُ بك،

كنتُ غريفةً

وأنتَ أنقذتني،

ثم قبّلتني

قبلةً طويلة،

وحين صحتُ

تأسفتُ

لأنني لا أملك فرصة أن أغرق قريباً.

.2

وقعتُ في حفرة في منامي

وعندما صحتُ

وجدتُ ريشةً

لو اني وضعتها تحت وسادتي

قبل أن أنام

لحلمتُ بأني حمامة

وما كنتُ وقعتُ في الحفرة.

رَبَّةُ الْأَشْيَاءِ الْجَامِدَةِ

”ذكريات عائدة؟“

لا، في ساعة الموت

أريد أن أرى أشياء ضائعة

تعود بدلاً من ذلك.”

فيسالوا شيمبوريسكا

في ساعة الموت

تأتي ربةُ الأشياءِ الجامدة:

الشهادات

الوصفات الطبية

أوراق التأمين

أحجار البيت

الكتب

بطاقات الهوية

البوصلة بالعناوين المحفوظة

الحقيقية

الأثاث

الدقتر

الصور

الدبابيس

الدراهم

الشمعة المنطفئة

في الزاوية البعيدة.

## الغريق

كأنها بدأت تصدقُ

يوماً بعد يوم

بأنه ليس في هذا العالم.

منذ أن جلبوا لها قبعتها

وخبراً

بأنه غرقَ في البحر

وهي تخرجُ لتجلس أمام البيت

وتدخلُ بسرعة

كأنها نسيت شيئاً

تضعُ البريدَ في مكانه المعهود

تقرأُ برجه في المجلات

تُطعمُ طيره في زاوية الغرفة

تركضُ الى الهاتف كلما رنَّ

تتنظرُ الى شجرة البيت الوحيدة وهي تبدلُ فجأة ألوانها

وتطلقُ الفصلَ الجديدَ

مثل سجين خرج الى الشارع للمرة الأولى

فبهرة الضوء

تفركُ عينيها

تعيدُ صورتَهُ الى محفظتها

تبكي

وكانها بدأت تصدق.

## ضمائر منفصلة أخرى

أنتَ تدرسُ التاريخَ

أنا أدرسُ عينيكَ

نحنُ ندورُ العالمَ

أنتَ تبتعدُ وتصبحُ نقطةَ

أنا أبتعدُ وأصبحُ نقطةَ

نحنُ نرى مستقيماً بين النقطتين

أنتَ تقتربُ

أنا أقتربُ

نحنُ ننمو مثل عجينة قمر

أنتَ تجلبُ صندوقَ لعبة الحرب

أنا أفتحُ الغطاءَ

نحنُ نُخرجُ أجساداً خشبية مكسورة.

يهبطُ الطيرُ الى عشهِ

بالمزيد من القش.

أوراقُ تتكسّرُ في الغابة

خطواتٌ مسرعةٌ تحت المطر.

لا أريدُ أجنحةً

انما ريشه... ريشُ حبيبي.

...

غطتني الثلوجُ

منذ مئات السنين

وأنا نائمة

لأريدُ شمساً

انما قبائهُ.. قبلةُ حبيبي.

...

لابدَّ أنه قمرٌ

حتى أراه في كل مكان.

لأصيرُ ذهباً باللمس

ولكني ألمعُ

مثل نجمةٍ بعيدة.

...

فيضاناً ظهرتُ

واختفتُ

عجراً وصلوا

ورحلوا

وأنا أغنيه صباح مساء

لعله يرتفعُ

يرتفعُ مع صوتي

يرتفعُ مع صوتي حبيبي.

...

عاد الجنودُ

الى أوطانهم

والقبعاتُ

عادتُ

الى الرؤوس.

...

أوراق الشجر

تبيستُ

ثم اخضرتُ

ثم اصفرتُ

ثم تكسرتُ

في الغابة



والطيرُ

عادَ

بالمزيد من القش.

## ملاحظات:

لارسا: لارسا هي ابنتي الوحيدة وهي الالهة الشمس.

**قمر منسي:** قصيدة مستلهمة من خبر صحفي بعنوان "الحب في زمن الخرف" وقد بثته قناة "سي ان ان" حيث أجروا مقابلة في "بيت رعاية فاقدى الذاكرة" مع الزوجة التي كانت واقفة بجانب زوجها المصاب بالخرف فلا يعرف من هي هذه المرأة اللطيفة الواقفة بجانبه وكان في تلك اللحظة ممسكا بيد امرأة يحبها مصابة بنفس المرض وقد علقت الزوجة بقولها: لا، ليست خيانة، مجرد نسيان!

**مخطط انسيابي:** قصيدة قديمة منشورة في مجلة المدى في فترة الثمانينيات وكنت نسيتها تماماً حتى سألني عنها أحد الأصدقاء متسائلاً لماذا لم تظهر في أي من كتبي. ليست كل قصائدي منشورة في كتب انما وعدت ذلك الصديق بأن أنشرها في كتابي القادم وهكذا التحقت هنا بقصائدي الجديدة مع بعض التغييرات.

أحلام: قصيدة قديمة، منسية أيضاً.

